

الدكتور التلي بن الشيخ و جهوده الأدبية

أ.مسعود غريب

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

حياته :

ولد الدكتور التلي بن الشيخ بنخلات سالم بالحجيرة، سنة 1928 في أحضان أسرة ذات شأن؛ حيث كان والده الحاج أحمد، ذلك الشيخ الوقور العالم الفقيه مفتي الديار بالحجيرة وضواحيها، إماما وخطيبا وأول رئيس للبلدية في عهد الاستقلال.

في هذا الجو العائلي نشأ وترعرع، فتلقى المبادئ الأولى للقراءة والكتابة والمعرفة في الكتاب على يد والده، وبعض شيوخ المنطقة فحفظ القرآن الكريم؛ مما شجعه على الانتقال إلى القرارة؛ لينهل المزيد من علوم اللغة والأدب والفقه في معهد الحياة تحت رعاية الشيخ الفاضل والعالم الجليل إبراهيم بيوض، أحد أقطاب العلم والمعرفة والإصلاح في الجزائر.

ومن القرارة إحدى منارات العلم والثقافة العربية الأصيلة في الجنوب الشرقي الجزائري، كانت وجهته الثانية في طلب العلم إلى مدينة القيروان، أكثر مراكز الثقافة العربية الإسلامية تألقا آنذاك؛ لينتقل بعدها إلى عاصمة بلاد الرافدين بغداد قيلة العلماء والدارسين لعدة قرون وذلك سنة 1961، أين تحصل على شهادته الجامعية الأولى في التربية وعلم النفس ليعود إلى أرض الوطن سنة 1966، فاشتغل بادی ذي بدء كموظف في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، فكان أحد مؤسسي جريدة القبس البارزين، والتي كانت يومها تطبع بالمغرب الشقيق على حسابهم الخاص، وبعد ذلك ولى وجهه نحو التدريس بالجامعة، فكان من الرعيل الأول الذي درس بالجامعة الجزائرية من جيل محمد مصايف، وأبو العيد دودو وحنفي بن عيسى، وعبد الله الركبي، وغيرهم من الأساتذة الذين حملوا لواء التعليم بجامعة الجزائر المستقلة، وظل يعمل بجامعة الجزائر العاصمة كأستاذ باحث إلى أن تقاعد عن العمل في الجامعة، ولكنه لم يتقاعد عن عمله الأدبي فظلت إسهاماته الأدبية تتوالى إلى أن وافته المنية سنة 2001. رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء.

مشاركته في ثورة التحرير الكبرى:

لقد ساهم في ثورة التحرير كغيره من الطلبة الجزائريين الأحرار فعمل فدائيا على الحدود الجزائرية التونسية منذ اندلاع ثورة التحرير الكبرى إلى غاية سنة 1961. **جهوده الأدبية:**

يبدو أن جهوده الأدبية قد تمحورت أساسا في معالجة قضايا الأدب الشعبي من شعر وقصة ومثل، وإبراز دوره في الحث على مقاومة المستعمر والوقوف ضد أطماعه وأهدافه، وقدرته على تصوير هموم الجماهير الشعبية، والدعوة إلى ضرورة المحافظة على مقومات الأمة لغة ودينا وثقافة.

وهذا ما جعله يختار موضوع بحثه في شهادة الدكتوراه بإشراف الأستاذ القدير عبد الله الركيبي: **دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945.**

وهو عمل قامت بطبعه الشركة الوطنية للنشر والتوزيع منذ 1983، محاولا إبراز هذا الدور للشعر الشعبي الجزائري في شتى مناحي الحياة والكشف عما فيه من قيم أدبية وثقافية ونضالية.

وقد لخص هذا الدور بقوله: «والواقع أن الشعر الشعبي الجزائري قد لعب دورا بارزا في شتى مجالات الحياة فعبّر عن الأهداف والوقائع بطريقة من طرق التعبير، «صور هموم الجماهير الشعبية، وآلامها ومعاناتها، كما حثها على مقاومة الاحتلال الفرنسي، والوقوف ضد أطماعه وأهدافه»¹ وإضافة إلى تحليله الكثير من قصائد الشعر الشعبي، فإنه قد ألحق بالبحث مجموعة من القصائد في مختلف الأغراض الشعبية.

أما عمله الثاني والذي لا يقل أهمية عن سابقه هو كتابه: **دراسات في الأدب الشعبي الصادر عن المؤسسة الوطنية للكتاب**، وإن كان مضمونه اقتصر على دراسة الشعر الشعبي الجزائري، فاختار مجموعة من مشاهيره: سعيد بن عبد الله المنداسي، مصطفى بن إبراهيم، الأخضر بن خلوف، محمد بن عزوز الخالدي، الشيخ بن يوسف.

وقد حدد الهدف من هذه الدراسة الشعبية التي خص فيها كل شاعر بدراسة مستقلة، تعرض فيها إلى مختلف الأغراض التي تناولها الشاعر قائلا: «هو أن نتعرف على رؤية بعض مشاهير الشعر الشعبي وما بذلوه من عطاء وجهد في شتى مجالات الحياة الثقافية والفكرية، وأن نعرف القارئ الذي لم تتح له ظروف الدراسة أن يطلع على هذا النوع من التفكير الشعبي حتى يمكنه أن يحكم على الشعر الشعبي

حكما صحيحا ، أو قريبا من الصحة ، فلا يبالغ في الإطراء والتمجيد و تحمیل الشاعر الشعبي ما ليس في استطاعته ، وحتى لا يسرف في التقليل من أهمية الإبداعات الشعبية إلى درجة الاحتقار»²

أما عمله الأدبي الأكثر أهمية في اعتقادي ، هو كتابه الموسوم ب: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري الصادر أيضا عن المؤسسة الوطنية للكتاب، والذي حاول فيه جاهدا أن يحدد منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري حيث صرح في مقدمة الكتاب « هذه الدراسة تستهدف تحديد منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري»³. وفيما يخص اختياره لمصطلح المنطلقات يقول أيضا: « وقد ترددنا كثيرا بين إطلاق كلمة مناهج التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، وبين إطلاق كلمة المنطلقات ، فتحاشينا إطلاق كلمة المناهج التي قد يفهم منها أن هناك اختيارا دقيقا ، من طرف الأديب الشعبي للأساليب التعبيرية التي تشكل تباينا واضحا بين أنواع الأدب الشعبي، ونحن نميل إلى الاعتقاد باستبعاد هذه المنهجية من قبل الأديب الشعبي ولا يعدو الأمر أن يكون تقليدا توارثه الأدباء الشعبيون جيلا عن جيل، لهذا اخترنا كلمة المنطلقات لاعتقادنا أنها تتماشى مع ما نلاحظه في رؤية الأديب الشعبي التي يغلب عليها طابع التفكير العفوي، والبساطة البريئة في تصوير قضايا الإنسان المعقدة »⁴.

فهو يرى أن منطلقات الشعر الشعبي الجزائري هي « منطلقات واقعية نابعة من آلام وجراح الشعب الجزائري ليس فيها من الخيال والتصور إلا ما يدعم الواقع الاجتماعي، ويعطي الصورة الشعرية بعدها ووقعها في نفس القارئ »⁵ ولذا فالشاعر الشعبي ينطلق من قضايا أمته السياسية والاجتماعية المحلية عارضا إياها حسب تصوره لهذا الواقع الإقليمي.

كما يمكن القول « أن منطلقات القصة الشعبية منطلقات نفسية أكثر منها واقعية ، أو خيالية وبعبارة أخرى فإن منطلقات القصة الشعبية منطلقات إنسانية عامة تتجاوز إطار القومية والإقليمية معا »⁶ ، حيث يدور موضوعها حول الصراع بين الخير والشر، تلعب الأسطورة والخرافة دورا بارزا في أحداثها .

بينما المثل الشعبي يركز قائله « بصورة واضحة على السلوك الإنساني عندما يواجه موقفا ما ومن هنا جاء تنوع المثل الشعبي في التعبير ، حيث يبدو من شكل بعض الأمثال أنها متعارضة، أو يناقض بعضها بعضا »⁷.

فالأمثال الشعبية كما يفهم مما سبق أنها تركز على السلوك البشري في موقف ما إذا واجه حالة مشابهة أو مماثلة للحالة التي يكون فيها المخاطب . إضافة إلى مساهماته المتميزة في برامج إذاعية ذات طابع أدبي رفقة الشاعر الكبير محمد الأخضر السائحي ،ناهيك عن كتاباته العديدة في مجلة ألوان بلا عنوان.

الإحالات:

- 1- دور الشعر الشعبي الجزائري للثورة د. التلي بن الشيخ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 ص 06.
- 2- دراسات في الأدب الشعبي د. التلي بن الشيخ المؤسسة للكتاب 1983 ص 05
- 3- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري د. التلي بن الشيخ المؤسسة للكتاب 1990 ص 05
- 4- المرجع نفسه ص 05
- 5- المرجع نفسه ص 06
- 6- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري د. التلي بن الشيخ المؤسسة للكتاب 1990 ص 07
- 7- المرجع نفسه ص 08